تربيـــــة الطفل في الإسلام

هاجر الطيب محمد إبراهيم[1]
manhagar@gmail.com

الملخص

اهتم الإسلام بمرحلة الطفولة لأهميتها في حياة الإنسان؛ فهي ليست مرحلة تكليف، وإنّما إعداد وتدريب وتوجيه وغرس للعادات الحميدة والقيم الفاضلة؛ للوصول بالإنسان إلى مرحلة التكليف، ولأداء دوره ورسالته في إعمار الكون بالعبادة والعمل الصالح {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة: 30). وقد تناولت الدراسة تربية الطفل في الإسلام وعناية الرسول (ﷺ) بتربية الأطفال وإعدادهم لتحمل المسؤولية، ورفع راية الإسلام، وكذلك دور الأسرة المسلمة في التربية، واستصحاب مساهمات بعض العلماء المسلمين في التربية، وأهمية إعداد الشخصية المتوازنة المتكاملة من جميع الجوانب الروحية والجسمية والصحية، والعقلية والخلقية والاجتماعية والعاطفية التي تعمل لخيري الدنيا والآخرة، من النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أهمية القدوة الحسنة التي يمكن عن طريقها ترسيخ القيّم والمبادئ في عقول الناشئة. أوصت الدراسة بالعودة إلى مصادر الإسلام الأصلية، وتشجيع الأبناء على التمسك بالقرآن الكريم حفظاً وتجويداً وسلوكاً للفوز برضا الله في الدنيا والآخرة، والاقتداء بخير البشرية المعلم الأول الرسول (ﷺ) وجعله المثل الأعلى في التربية وعلى أولياء الأمور وضع ضوابط لأبنائهم عند استخدامهم للأجهزة الإلكترونية والإنترنت؛ وذلك لتأثيرها في الصحة والسلوك، وشغل أوقات فراغهم بهوايات، وأنشطة مفيدة

---

1 أستاذ أصول التربيـة -ـ كلية التربية . حنتوب- جامعة الجزيرة

مقدمة:

اهتم الإسلام بالإنسان وإعداده وتولى الله تعالي خلقه بنفسه: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة : 30) وكرمه وفضله على غيره من المخلوقات {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } (الإسراء: 70). وسخر كل الموجودات لتكون عوناً له على أداء دوره في إعمار الأرض بالعبادة والعمل الصالح. ووضع له منهجاً متكاملاً للتربية يختلف عن كل المناهج الوضعية، يتناسب مع الطبيعة الإنسانية في مراحلها المختلفة منذ ولادة الإنسان إلى آخر يوم في حياته.

والتربية الإسلامية تعمل وفق قيم ومبادئ وضوابط ذات أسس ثابتة راسخة مستمدة من مصادر الإسلام الأساسية التي تعمل على تحقيق التكامل والتوازن بين جوانب الشخصية المسلمة الروحية العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية وفق المنهج الرباني الذي يعالج كل قضايا الإنسان المسلم الدنيوية والأخروية لمعرفته وإحاطته بهذا الإنسان، وهو أعلم بما في نفسه من أسرار وخفايا {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}(الملك :14).

ومرحلة الطفولة من أهم مراحل التكوين ونمو الشخصية، وهى مجال إعداد وتدريب للطفل للقيام بالدور المطلوب منه في الحياة، ولما كانت وظيفة الإنسان هي اكبر وظيفة ودوره في الأرض هو اكبر دور اقتضت طفولته مدة أطول يحسن إعداده وتربيته(جبارة: 199، 96). وتنشئته على القيم والمبادئ الفاضلة، وحتى يكون فرداً فاعلاً نافعاً لنفسه ومجتمعه ويعمل لخيري الدنيا والآخرة. وهنا يأتي دور الأسرة المسلمة التي تقوم على أسس ثابتة ودعائم إيجابية لإعداد جيل واعٍ راشد مستخلف في الأرض .

ولا شك أنّ لدار الحضانة والمدرسة ودور العبادة ووسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والثقافية دوراً مهماً، وأثراً ملموساً في تربية الأطفال والناشئة، إذ هي أول المجتمعات العامة الأساسية، التي تحتضن الطفل ليختلط فيها مع غير أفراد أسرته، ويقضى بين جدرانها وقتاً طويلاً ، خاصة المؤسسات التعليمية، بما يسمح له بالتأثر بالمربين والمدرسين والزملاء. ومن هنا تأتى الأهمية القصوى لهذه المؤسسات في التربية والتنشئة والتزود بالمعارف، وتعويد الطفل على التعامل مع الغير وزرع مبادئ الأخلاق السامية والفضائل العالية من تراحم وتعاون وتواد وتوقير للكبار وتراحم مع الصغار (يحيي: 2003، 90).

وإذا أراد المسلمون بناء مجدهم وحضارتهم الماضية فعليهم الرجوع إلى مصادر الإسلام الأصلية التي اشتملت على منهج الخلافة الذي يعالج قضايا الإنسان الدنيوية والأخروية (وأما الفكر التربوي فلا بد أن ينصب على التخطيط للحفاظ على العقيدة والأصالة والخصوصية الدينية والقومية وتربية أبناء الأمة العربية على الأخلاق الإسلامية وتحصينهم فكرياً وسياسياً واجتماعياً اقتصادياً (الساموك: 2005،123) حتى يمكنهم اكتشاف الحق من الباطل في عصر ما يسمى بالعولمة التي أصبحت خطورتها واضحة في تأثيرها في القيم والسلوك .

وقد تناولت هذه الورقة (تربية الطفل في الإسلام)؛ وذلك لأهمية مرحلة الطفولة، فهي مرحلة تكوين وإعداد وتنشئة الطفل المسلم على المبادئ وموجهات التربية الإسلامية. ولا بد من الرجوع إلى المنهج الرباني الذي تربت عليه الجماعة الأولى في وجود القدوة، والقرآن يتنزل ويحفظ في الصدور ويصبح سلوكاً واقعياً في الحياة. والاستفادة من جهود العلماء المسلمين التي أسهمت في خدمة الفكر الإسلامي عامة وعلم التربية وتهذيب السلوك بصفة خاصة. أمثال الغزالي وابن سينا وغيرهم والاسترشاد بآرائهم التربوية في هذا المجال.

مشكلة الدراسة:

من المعلوم أنّ النظم التربوية الرسمية في البلدان العربية والإسلامية تأثرت في بداية تكوينها بالأنظمة الغربية سواء من حيث الفلسفة أو المضامين والأساليب ، الأمر الذي أفقدها فاعليتها في تكوين الشخصية الإسلامية الفاعلة لما تسببه تلك التأثيرات الوافدة من صراع في بنيان المتعلم فكرياً وروحياً (المصباحى: 2000، 3) حيث أصبح تأثر الشباب واضحاً بالغزو الفكري والثقافي الذي فرضه الوضع الراهن مما أدى إلى ظهور كثير من الظواهر السلوكية السالبة.

إنّ أزمة الأمة العربية هي أزمة تربوية وليس لنا سوى التربية مخرجاً لانتشال الأمة العربية من أزمتها الراهنة ؛ لأنّ التربية هي المدخل للتنمية الشاملة والدرع الواقي ضد العولمة وغزوها الثقافي (الساموك، 2005، 115) وهنا يأتي دور الأسرة والمؤسسات التربوية والمجتمعية، وأجهزة الإعلام المختلفة، وضرورة التعاون والتكامل في برامجها وأهدافها وأنشطتها من أجل تحصين النشء من الثقافات الوافدة والأفكار الدخيلة ،وإعداد الشخصية المتوازنة المتكاملة من جميع الجوانب الروحية والعقلية والجسمية والصحية والخلقية والاجتماعية والعاطفية والنفسية .

ولابد من عودة الأمة إلى مصادرها الإسلامية وتراثها الفكري والحضاري لإيجاد الحلول والمعالجات لهذه الأزمة التي استهدفت الناشئة والشباب، وهم يمثلون أهم فئات المجتمع.

أهداف الدراسة:

1. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الجانب التأصيلي لتربية الطفل وفق ما جاء في مصادر الإسلام الأصلية والتراث العلمي والفكري للعلماء المسلمين .
2. كما تهدف بصورة أكثر تحديداً إلى التعرف على:

2-1 دور الأسرة في تربية الطفل في الإسلام

2-2 إعداد الشخصية المتوازنة:

أ. التربية الروحية

ب. التربية العقلية

ج. التربية الجسمية والصحية

د. التربية الخلقية والاجتماعية

هـ. التربية العاطفية

أهمية الدراسة:

1- تأتى أهمية هذه الدراسة من أهمية المرحلة العمرية (الطفولة) التي تعد من أهم المراحل التي تتشكل فيها شخصية الفرد، وفيها يتم غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة والقيم والمبادئ الإسلامية، سواء من جانب الأسرة أو المؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع.

2- أهمية العودة إلى المنهج الرباني والفكر التربوي الإسلامي في هذا الوقت الذي تتعرض فيه الأمة العربية والإسلامية للكثير من الضغوط التربوية والثقافية والاقتصادية مما عرضها للضعف والتفكك.

3- إنّ هذه الدراسة تضاف إلى غيرها من الدراسات التي أجريت من قبل العلماء والباحثين، بهدف إثراء البحث في الجانب التأصيلي الخاص بتربية النشء، وتحصينهم ضد أخطار العولمة وإعدادهم الإعداد الأمثل ليكونوا حملة لواء هذا الدين ورفع رايته ولو كره أعداء الإسلام قال تعال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(الصف: 9).

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي والاعتماد على المراجع والكتب والدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة.

مفهوم التربية:

التربية لغة:

يعود أصل كلمة تربية في اللغة إلى الفعل (رَبَا): ربا يربو بمعنى زاد ونما، فتكون التربية بمعنى النمو والزيادة، وقوله تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (الحج: 5) وفي قوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} (الشعراء: 18) والتربية هنا بمعنى التنشئة والرعاية (ابن منظور: ب ت، 82/1).

التربية اصطلاحاً:

والمعنى الاصطلاحي وهى لا تختلف عن المعنى اللغوي، فهي أيضاً تعنى التنمية والتنشئة؟

والتربية هي: مجموعة التصرفات العملية والقولية التي يمارسها راشد بإرادته نحو صغير، بهدف مساعدته في اكتمال نموه وتفتح استعداداته اللازمة، توجيه قدراته ليتمكن من الاستقلال في ممارسة النشاطات وتحقيق الغايات التي يعد لها بعد البلوغ في ضوء توجهات القرآن والسنة(أبو صالح : 1979،13). ووردت بمعنى الإصلاح والتأديب كما جاء في بعض أحاديث الرسول (ﷺ) ومنها قوله (لأنّ يؤدب الرجل ولده خيرُ له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع) (الترمذي: 1951، 377/4) وقوله (ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن) (الحاكم، د.ت، 292/4).

وعرفها الإمام الغزالي بمعنى تهذيب الأخلاق حيث قال: (اعلم أنّه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته، ويجعل مكانها خلقاً حسناً، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته، ويكمل ريعه) (الغزالي: 1123هـ ، 23).

ومما سبق يتضح أنّ التربية هي كل ما يؤدى إلى تهذيب النفس وتعديل السلوك والاستقامة مع الله تعالى باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وحسن الخلق مع الناس.

دور الأسرة في التربية:

الزواج هو العلاقة الشرعية الوحيدة التي عن طريقها يحفظ النوع ويستمر النسل وتُحصن المجتمعات من المفاسد الأخلاقية والأمراض الفتاكة، وقد حث الإسلام على الزواج وتكوين الأسرة، فالذي يستطيع تحمل أعبائه الاقتصادية والاجتماعية والتربوية، عليه أن يؤدى واجبه ودوره في استمرار الحياة وتكاثر النوع، وفي الحديث (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء) (البخاري).

والأسرة هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية من حيث إنّها نقطة البداية التي تؤثر في كل مراحل الحياة، ولأهميتها ودورها في تنشئة العنصر الإنساني الذي هو أكرم عناصر هذا الكون في التصور الإسلامي. وهى مصنع الأجيال ونواة المجتمع المسلم وهى شركة بين الزوجين، والرجل هو رب الأسرة ورئيسها لذلك كانت له القوامة والإنفاق، والعلاقة فيها قائمة على السكينة والمودة والرحمة والعطاء والبذل والطاعة و التفاهم قال تعالى: {وَمِنْ أَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون} (الروم :21).

والأبناء هم زينة الحياة الدنيا وهم امتداد لمسيرة الحياة والاستخلاف في الأرض، قال تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً} (النحل: 72).

وهناك غرضان مهمان للإنجاب (العك: 1998، 43) :

الغرض الأول: تحقيق حاجة في نفس الفرد، فالإنسان يحب أن يرى صورة نفسه في ولده، ويرغب أن يخلفه في الأرض يرثه ويأكل ثمار أتعابه، ومن هنا كان الأولاد زينة كما أنّ المال والجاه زينة، قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (الكهف: 46).

الغرض الثاني: هو إنجاب ذرية صالحة لتعمير الأرض، واستمرار الأمة ودوامها فإنّ الله خلق هذه الدنيا، وعدّ الذرية الصالحة صدقة جارية للإنسان بعد حياته يناله ثواب آثارها مادامت قائمة صالحة وفي الحديث (إذا مات ابن آدم أنقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) (مسلم، 85).

وكذلك الأنبياء يلجأون إلى الله لطلب الذرية إذ قال زكريا {فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً}(مريم: 5-6) (فسأل الله ولداً يكون نبياً من بعده يسوسهم بنبوته ما يُوحى إليه ، أي على ميراث النبوة) وفي الحديث (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا فهو صدقة) وقوله: (اجعله رب رضياً). أي مرضياً عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه) (ابن كثير: 2006، 105/3) (وآتيناه الحكم صبيا، أي الفهم والعلم والجد والعزم والإقبال على الخير والانكباب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث) ابن كثير: 107/3،2006). وقد خص الله الأنبياء والرسل برسالاته إلى البشرية لتصحيح مسارها في مختلف الأزمان والأمكنة، وقام بإعدادهم الإعداد الأمثل الذي يعينهم على أداء مسؤولية التبليغ. وهداية البشر إلى الطريق المستقيم، وكانت رسالة الإسلام هي خاتمة الرسالات، وهي عامة لكل الناس ولكل زمان و ومكان، قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} (سبأ:28).

تعدّ مرحلة الطفولة من أهم مراحل إعداد الشخصية المتكاملة (وإنّها المرحلة الأساسية في التلقين والتوجيه، والتأسيس للعقيدة السليمة التي يجب أن يقوم بها الوالدان بشكل أساس بالاستعانة بالمربين إن أمكن ذلك، وضمن المنهج الإسلامي الصحيح النابع من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع الاستفادة من تربية السلف وحسن تطبيقهم لهذا المنهج (محمد خير: 1998، 202.201)، وفي هذا الجانب يقول الغزالي: (والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمُال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والولي له) (الغزالي:2004 ،96/3).

وتأتى أهمية هذه المرحلة من الآتي وفقاً ل (said.net):

3-2 مرحلة الطفولة مرحلة صفاء وخلو فكر، فتوجيه الطفل للناحية الدينية يجد فراغاً في قلبه ومكاناً في فكره وقبولاً في عقله.

4-2 هي مرحلة تتوقد فيها ملكات الحفظ والذكاء، ولعل ذلك بسبب قلة الهموم والأشغال التي تشغل القلب في المراحل الأخرى، فوجب استغلال هذه الملكات وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

5-2 مرحلة طهر وبراءة لم يتلبس الطفل فيها بأفكار هدامة، ولم تلوث عقله الميول الفكرية الفاسدة التي تصده عن الاهتمام بالناحية الدينية، بخلاف لو بدأ التوجيه في مراحل متأخرة.

6-2 أصبح العالم في ظل العولمة الحديثة كالقرية الصغيرة، والفرد المسلم تتناوشه الأفكار المختلفة من كل ناحية، والتي قد تصده عن دينه أو تشوش عليه عقيدته، فوجب تسليح النشء بالثقافة الدينية ليكونوا على بصيرة من أمرهم ويواجهون التحديات بعقول واعية.

7-2 غرس الثقافة الدينية في هذه المرحلة يؤثر تأثيرا بالغاً في تقويم سلوكه وحسن استقامته في المستقبل، فينشأ نشأة سليمة، باراً بوالديه، وعضواً فاعلاً في المجتمع .

8-2 الأبناء رعية استرعاهم الله آباءهم ومربيهم وأسرهم ومجتمعهم وهؤلاء جميعاً مسؤولون عن هذه الرعية ومحاسبون على التفريط فيها، كما أنهم مأجورون إن هم أحسنوا واتقوا. وفي الحديث (كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته والرجل في أهله راعٍ ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهى مسؤولة عن رعيتها) (البخاري، د ت، 300/3) .

إعداد الشخصية المتكاملة:

مرحلة الطفولة من أهم مراحل إعداد وتكوين الشخصية، وفيها يتم إعداد وتدريب الطفل للقيام بالدور المطلوب منه في الحياة.

والتربية الإسلامية ذات طابع شامل متكامل لجميع جوانب الشخصية الروحية والعقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والعاطفية، وفق معيار الاتزان والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط في جانب لحساب آخر، وإنّما هي تربية تعمل على إعداد الإنسان المؤمن المتكامل من جميع الجوانب، ويعمل لخيري الدنيا والآخرة وفق المنهج الرباني الذي يتناسب مع الطبيعة الإنسانية قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الملك: 14) ولابد أن تكون التربية شاملة لكل جوانب الشخصية الإنسانية.

التربية الروحية:

التربية الإسلامية تهتم بالجانب الروحي الذي يصل الإنسان بخالقه ويتقرب إليه بأداء العبادات المفروضة والعمل الصالح. و(الإيمان بالله جل وعلا أو قيمة ينبغي أن نهتم بها وننشّئ أبناءنا عليها، فهو القاعدة العظمى التي من غيرها لن يجد المسلم أي إطار مرجعي ذي قيمة لكل الأخلاق والقيم الأخرى، نحن نريد

ترسيخ الإيمان، ليس بوصفه قناعات عقلية فحسب ولكن بوصفه مشاعر وأحاسيس بمراقبة الله تعالى. والخضوع والاستسلام له، والاعتراف بفضله وإحسانه، إنّ الإيمان الحي يدفع المسلم دفعاً إلى مناجاة الله تعالي في السراء والضراء والاعتصام به عند الكروب والأهوال، وحين يصبح الإيمان على هذه الصورة ويكون مصدراً لابتهاج الروح وراحة الفؤاد واطمئنان النفس (بكار:2002، 36).

ويكون المسلم أنموذجاً لهذا الدين الذي يتماشى مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم:30) والمعنى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنّه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنّه لا إله غيره (ابن كثير: 2006، 404/3) ويقول الإمام الغزالي: فأوائل الأمور التي ينبغي أن تراعى، فإنّ الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً، وإنّما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين)(الغزالي ،99/3).

والطفل مجبول بفطرته على الإيمان بالله تعالى، حيث يبدأ تساؤلاته عن كيفية خلق الموجودات من حوله واكتشاف ما يحيط به، وأنّ تفكيره المحدود مهيأ لقبول فكرة الخالق، فعلى الوالدين استثمار تساؤلاته واستفساراته لتعريفه بالله تعالى خالق الكون والإيمان به وطاعته، وتلقينه كلمة التوحيد وترسيخ محبة الرسول (ﷺ) في نفسه وحب آل بيته وصحابته والاقتداء بهم في سلوكه. وفى الحديث (عن أنس قال: قال (ﷺ) لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (البخاري: 17/11). ولأنّ الحب يتولد عنه الاحترام والهيبة

والطاعة في السر والعلن فما أحوج الأبناء إلى معرفة ربهم ورسوله، وأن تكون العلاقة قائمة على الخوف من عقابه والعمل على طاعته ورضاه، فتكون عبادتهم له متعة روحية تصلهم به وتحفظهم من الزلل والوقوع في المعصية وفي الحديث (عن أنس عن النبي (ﷺ) قال: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (البخاري:18/1) .

والصلاة من العبادات التي تصل العبد بربه وهى (عماد الدين وتأديتها في أوقاتها يعلم النظام والدقة في حفظ المواعيد حتى إذا شب الطفل على إقامة الصلاة مع المحافظة عليها تعود الإقبال على العمل في الوقت المناسب، والمبادرة إلى انتهاز الفرصة قبل ضياعها وابتعد عن التثاقل وامتنع عن التكاسل (الأهواني: د.ت، 133) وفي الحديث (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والصوم) (البخاري ؛ 14/1).

لذلك اهتم الإسلام بتعليم الأطفال الصلاة في مرحلة مبكرة من حياتهم وفى الحديث (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنيين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) (النووي: 171،1983). قال تعالى {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} (طه:132).

ففي سن السابعة يكون التعليم بالتدريب و الممارسة والتقليد اقتداءً بإفراد الأسرة، وإذا قصر الطفل في أداء الصلاة أو تكاسل أو تهاون في إقامتها حتى سن العاشرة، يمكن للوالدين استخدام الضرب والعقاب وسيلة أخرى بعد أسلوب الوعظ و التوجيه بالرفق واللين والأصل في ضرب الصبيان لحملهم على أداء فريضة هي ركن من أركان الإسلام، وهى الصلاة ليأنس بها الصبيان ويتطبعوا بها وتتنزل منهم منزلة العادة (الأهواني: د.ت، 151)

وبالتعود والمواظبة عليها تصبح سلوكاً يومياً تؤدى في أوقاتها في سهولة ويسر، كما أنّها تعودهم الفضائل، وتبعدهم عن الرذائل والعادات السيئة قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (العنكبوت:45)، كما أنّها سببٌ من أسباب الطهارة والنظافة الحسية في البدن والثوب والمكان، فهي أيضاً كفارة من الذنوب والخطايا وفي الحديث (عن أبن هريرة رض الله عنه انه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: (أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنة شيء قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) (البخاري:223/1). وفي الحديث مبالغة في نفي الذنوب لأنّهم لم يقتصروا في الجواب علي (لا) بل أعادوا اللفظ تأكيداً، ودرجة التمثيل أنّ المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا يُبقى له ذنبٌ إلا أسقطته (ابن حجر: 1986، 16.15/2).

كما أنّ اصطحاب الأبناء إلى المسجد لحضور صلاة الجماعة له أكبر الأثر في تنمية الجانب الروحي، مما يعلمهم الحرص على أداء الصلاة في أوقاتها. وكذلك صلاة الجمعة والاستماع إلى الخطبة والاستفادة مما ورد فيها من سيرة المصطفى (ﷺ)، وما فيها من دروس وعظات وعبر مما يزيد من مخزونه المعرفي والديني والاجتماعي .

وكذلك حثهم على حضور صلاة العيدين ، وتعليمهم صلاة الاستخارة وصلاة الحاجة.

وقيام الليل مما يقوى إيمانهم وصلتهم بربهم، وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يتعلم في مدرسة النبوة ويصلى مع النبي (ﷺ) صلاة الليل حيث يقول (نمتُ عند ميمونة والنبي (ﷺ) عندها تلك الليلة، فتوضأ ثم قام يصلى، فقمت على يساره

فأخذني فجعلني عن يمينه فصلى ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ ثم أتاه المؤذن فخرج فصلى بنا) (البخاري:283/1).

وهذا يوضح اهتمام ابن عباس بالاقتداء والتأسي برسول الله (ﷺ) إذ يبيت في بيت خالته ميمونة ليتعلم صلاة النبي (ص) وقيامه وهو معلم البشرية الأول .

وعبادة الصوم روحية جسدية، يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقي لله تعالي ومراقبته له في السر والعلن، وتتربى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع والبعد عن الماء رغم العطش، ويتعود فيه الطفل الصبر والجلد، وقد ربى الصحابة أطفالهم على عبادة الصيام (سويد: 2006، 265)، وفي الحديث عن الربيع بنت مُعّوذ: قالت أرسل رسول الله (ﷺ) غداة يوم عاشوراء إلى قرى الأنصار (من كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، أي يستمر في صومه). قالت فكنا نصومه بعد ونصّوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العِهن – أي الصوف) وإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون الإفطار (البخاري، 82/3). واستدل على هذا الحديث على أنّ عاشوراء كانت فرضاً قبل أن يفرض رمضان، وفي الحديث حجة على مشروعية تمرين الصبيان على الصيام؛ لأنّ من كان في مثل السن الذي ذكر في الحديث غير مكلف، وإنّما صنع لهم ذلك للتمرين (ابن حجر، 1986، 237/4) .

كما أنّه يجب تدريب الأبناء على الفروض والعبادات الأخرى، وأن يحُبب إليهم أداؤها حسب طاقاتهم وأعمارهم، كالزكاة والحج، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ والتكليف أصبح أداؤها سهلاً ميسوراً. وإلى هذا الجانب يشير الإمام الغزالي (2004، 98/3) ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ألاّ يسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان.

التربية الجسمية والصحية:

إنّ صحة الإنسان وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية فائقة، وعدّها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحاً في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيداً عن الأدران المكدرة، والأحوال المنفرة، وليست صحة الجسد وطهارته صلاحاً مادياً فقط، بل إنّ أثرها عميق في تزكية النفس وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة) (الغزالي، 152/2004). فيما يخص دينه ودنياه ، وما أحوجه إلى الجسم الصحيح والبدن القوى الصبور .

وقد وجه الإسلام إلى أهمية الغذاء المتوازن، وعدم الإسراف حتى يساعد على النمو الصحيح قال تعالى {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (الأعراف :31). فالإسراف في الأكل مُضر بالصحة ويؤدى إلى السمنة التي تتسبب في كثير من الإمراض، وفي الواقع إنّ الإنسان لا يحتاج إلا إلى قدر قليل من الطعام الذي يمده بما يحتاج إليه من طاقة تمكنه من الحياة في صحة جيدة، كما تعينه على أداء مهامه المختلفة في حياته اليومية (نجاتي،53).

وكان النبي (ﷺ) يدعو إلى المشاركة في الطعام ولو كان قليلاً؛ لما في ذلك من الخير والبركة، وفي الحديث (طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة)، ويجب تعليم الأطفال آداب الطعام والشراب، وفي الحديث (عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله (ﷺ) وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله (ﷺ) يا غلام سّم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك) فما زالت تلك طعمتى بعد) (البخاري، 127/7).

ولابد في تربية الجسم من الاهتمام بممارسة الرياضة البدنية والألعاب التي تعد الناس للقيام بواجبات الدعوة في الحياة، إذ إنّ الدعوة الإسلامية دعوة جهاد وكفاح، ولابد من تربية الناس لما يتطلبه دورهم في الحياة من حمل للرسالة وجهاد في سبيلها(محجوب: 1987، 197). قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال:60).

وقد شجع الإسلام على تربية الأجسام عن طريق السباحة وركوب الخيل والرمي؛ وذلك إظهاراً للقوة والشجاعة. وكان (ﷺ) يحث على اقتناء الخيل لما فيها من الخير والبركة، وكان يقول: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة" (البخاري: 89/4). وكان يشجع الشباب على تعلم الرمي ويعدّه رمزاً للقوة والشجاعة وفى (عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مرَّ النبي (ﷺ) على نفر من أسلم ينتضلون ،فقال النبي (ﷺ): "ارموا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان " قال فأمسك أحد الفريقين بأيديهم قال رسول الله (ﷺ): "مالكم لا ترمون؟" قالوا: كيف نرمى وأنت معهم، قال النبي (ﷺ): "ارموا فأنا معكم كلكم" ينتضلون : أي يترامون (البخاري: 106/4).

والطفل كثير الحركة وزائد النشاط فلا بد من السماح له باللعب والحركة حتى يتجدد نشاطه، قال تعالى على لسان إخوة يوسف "أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (يوسف:12). (يرتع ويلعب) قال ابن عباس: يسعى وينشط) (ابن كثير، 2006، 428/2). وكان (ﷺ) يشجع الأطفال على اللعب بل ويشاركهم فيه لإدخال الفرح والسرور في نفوسهم "عن أسامة بن زيد رضي الله عنه حدث النبي (ﷺ) إنّه كان يأخذه والحسن فيقول اللهم أحبهما فإنّي أحبهما" (البخاري: 97/5).

وكذلك كان الصحابة يقتدون بالنبي (ﷺ) وفي الحديث :عن عقبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشى فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال (بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي، وعلي يضحك) (البخاري:5/26.27).

وتعدّو نظافة الطعام والشراب من العوامل المهمة في الوقاية من المرض والمحافظة على الصحة ، وقد وجه الرسول (ﷺ) لأهمية نظافة الأواني وتغطية الطعام والشراب، وعدم تعريضه للتلوث بسبب الحشرات والغبار، وفي الحديث " أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمروا الطعام والشراب" (البخاري:7/203). ودعا إلى ضرورة غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب حرصاً على الوقاية من انتقال الأمراض (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فيغسله سبعاً) (البخاري :1/90). ونهى عن التنفس في الإناء عند الشرب وفي الحديث " إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه، أي لا يستنجى بيمينه " (البخاري:1/83)، وكذلك غسل اليدين جيداً بعد قضاء الحاجة وقبل تناول الأكل حتى يتجنب الإنسان كل ما يعرضه للإصابة بالأمراض.

وعلى الأم المسلمة أن تعلم صغارها أصول الطهارة، وتحافظ على نظافتهم منذ نعومة أظفارهم لأنّ من شب على شيء شاب عليه، فتعلمهم آداب قضاء الحاجة وكيفية الوضوء والسواك وتقليم الأظافر والاغتسال؛ فتدربهم على ذلك عملياً وتشرف على تنفيذهم للآداب وتصحيح أخطائهم ،وتتذرع بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق في التوجيه مع التشجيع والثناء والمدح على من أجاد صنعاً (العك: 1998، 196).

وحتى يكون الفرد سليماً معافى وقادراً على تحمل مسئولياته وتكاليفه الدينية عليه بالتداوى إذا أصابه المرض، وكان من هديه (ﷺ) توجيه الأمة إلى التداوى وطلب الشفاء "ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء " (البخاري: 22/7) وقوله (ﷺ) " الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء"، وهذا العلاج الذي وصفه الرسول (ص) يكون أكثر فائدة وأقوى أثراً في فصل الصيف وفي المناطق الحارة؛ لأنّ الماء في ذلك الوقت يكون أبرد من أي شئ آخر، وذلك لبعده عن ملاقاة الشمس، فإذا استعمل الكمادات أو الاستحمام للمريض بالحمى فإنّه بإذن الله، يخفض حرارة الجسم ويطفيء الحمى (عبد السلام: د ت، 494) وهذا ما يوصي به الأطباء اليوم من استعمال الماء والكمادات الباردة لخفض حرارة الجسم في حالة الحمى.

وواجب الأسرة المحافظة على صحة أبنائها وسلامتهم والاهتمام بالجانب الصحي والوقائي ومتابعة إكمال جرعات التحصين من أمراض الطفولة، والتداوي في حالة المرض، وكذلك على المدرسة أن تقوم بدورها في نشر الوعي الصحي، وتوعية النشء بأهمية التطعيم وأخذ الجرعات المناسبة في حالة ظهور أي مرض وبائي ، وأخذ العلاج المناسب في حالة الإصابة بالأمراض مع التغذية الجيدة المتوازنة، وحثهم على النظافة في المأكل والمشرب والملبس والمسكن، كذلك الاهتمام بالمظهر العام من غير إسراف حتى يشبوا على الآداب الإسلامية وتكون سلوكاً واقعياً في حياتهم.

التربية العقلية:

إنّ الإسلام اهتم بالجانب العقلي في الإنسان كما اهتم بالجانب الروحي والجسمي، ولقد كرم الله الإنسان بالعقل وبالعلم وفضله على كثير من مخلوقاته قال تعالى:" وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ" (البقرة/31-32). أي العليم بكل شيء الحكيم في خلقك وأمرك وتعليمك ما تشاء ومنعك ما تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التام.(ابن كثير: 2006، 6/1)

وقد وجه الإسلام الطاقة العقلية للنظر والتدبر والتفكر في مخلوقات الله، وهذا الكون الواسع الذي سخره الله تعالي للإنسان؛ ليكون مجالاً للعبادة والعلم والاكتشاف الاختراع . قال تعالى " "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" (آل عمران: 190 ،191) وعن عيسى عليه السلام أنّه قال: " طوبى لمن كان قيله تذكراً وصمته تفكراً ونظره عِبراً". وقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته و صفاته وشرعه وقدره وآياته (ابن كثير:2006، 387/1).

وحث الإسلام على طلب العلم وعدّه عبادة يؤجر عليها، وفي الحديث " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" (البخاري : 45/1)، وطلب العلم الشرعي فريضة على كل المسلمين، فهو أداة تعريف المؤمنين بأصول العقيدة الصحيحة وإرشادهم إلى أداء الواجبات الشرعية، ودفعهم إلى الالتزام بالأخلاق والآداب وكذلك إعداد الدعاة لنشر دين الله، وهو الوسيلة أيضاً لمعرفة العقائد الباطلة والآراء الضارة ، والمبادئ المنحرفة، وطرق تجنبها والوقاية من شرها، أما طلب العلوم الأخرى فهو فرض كفاية لما فيه من الضرورة لإصلاح حياة الأمة، وضمان كفايتها من جميع جوانب الحياة ، وحمايتها من مكر الأعداء وكيدهم (الحزيمي:2005 ،1351/3).

وهذا القدر من العلم يجب أن يكون إلزامياً بتعلمه كل مسلم ومسلمة بالقراءة في المدارس والمعاهد، وبالسماع في المساجد وفي أجهزة الإعلام المختلفة، وعلى كل دولة تنتسب إلى الإسلام أن توفر هذا القدر لأبنائها بكل وسيلة

مستطاعة، وأن تنتهز كل فرصة لتفقيه أبنائها(القرضاوي: 1993، 88). وفي الحديث الشريف" من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (البخاري:46/1).

والطفل يتميز في مراحله الأولى بشدة الانتباه وكثرة الأسئلة والخيال الواسع في كثير من المجالات، فعلى الأم أن تنمى مدارك طفلها وأن تجيب أسئلته بأجوبة مقنعة صحيحة تلائم سنه وعقله، وأول ما ينبغي أن يتعلمه الطفل قراءة القرآن ثم الآداب النبوية والأخلاق المحمدية، ثم الكتابة ثم العلوم الحديثة المهمة للحياة (العك: 1998، 197). ويقول ابن سينا:" فإذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه، وتهيأ للتلقين، ووعى سمعه، أخذ في تعليم القرآن، وصورت له حروف الهجاء، ولقُن معالم الدين " (شمس الدين: 1988، 253).

وكان الرسول (ﷺ) يشجع أصحابه لحضور مجالس العلم لما في تحصيله من المنفعة والأجر والثواب قال تعالى " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " (المجادلة:11). وقال (ﷺ) " إنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظٍ وافر" (البخاري) .

وكان يستخدم طريقة السؤال في مجالس العلم لتهيئة عقول السامعين للمعرفة، إضافة إلى عنصر التشويق وإعمال الفكر للتوصل إلى الإجابة (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال: رسول الله (ﷺ) "أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها " فوقع في نفس النخلة، فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي (ﷺ): "هي النخلة" فلما خرجت مع أبى قلت: يا أبتاه وقع في نفسي النخلة، قال: ما منعك أن تقولها، لو كنت قلتها كان أحب إليّ من كذا وكذا، قال: ما منعني إلا أنّى لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت" (البخاري: 8/1). وهذا تشجيع لصغار الصحابة أن يظهروا ذكاءهم ونبوغهم في مجالس العلم، خاصة في حضرة النبي (ﷺ) .

وقد كان ابن عباس من علماء هذه الأمة وفقهائها المتبحرين في العلم، وفي الحديث "عن ابن عباس قال: ضمني رسول الله (ﷺ) وقال اللهم علمه الكتاب" (البخاري: 49/1). ويستفاد منه جواز احتضان الصبي القريب على سبيل الشفقة، وقوله (علمه الكتاب المراد بالكتاب القرآن؛ لأنّ العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفقه فيه، وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبي (ﷺ) فيها لما عُلم من حال ابن عباس في معرفة الفقه في الدين رضي الله عنهما (ابن حجر :250/1). "وقال ابن عباس توفي رسول الله (ﷺ) وأنا ابن عشر سنين قد قرأت المُحكم "المحكم: أي الذي لا نسخ فيه " (البخاري: 332/6).

وكذلك كان أصحاب رسول الله (ﷺ) علماء وفقهاءُ هذه الأمة : قال عبد الله بن مسعود : "والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة في كتاب الله، إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله، إلا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه " (البخاري : 321/6).

وفي وضع الأساس للبناء العلمي والفكري للطفل فلا بد من غرس حب العلم والعلماء في نفسه، وعلى الوالدين اختيار المعلم الصالح الذي هو مرآة لقلب الطفل وعقله فهو يمثل القدوة والمثال الذي يقلده الطفل، والى هذا يشير الغزالي " فأعلم إنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب ليُخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً" (الغزالي: 1123هـ، 23) وكذلك ابن سينا : " وينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً رزيناً بعيداً عن الخفة والسخف" (شمس الدين: 1988، 253)؛ وذلك لدور المعلم المهم في إعداد النشء وتربيتهم.

التربية الخلقية والاجتماعية:

الأخلاق جمع خلق، والخُلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية والمروءة والمعاشرة (الجوهري: 1982، 1471).

وعرّف الإمام الغزالي الخلق بأنّه " عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسُر من غير حاجة إلى فكر وروية. فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سمّيت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سمّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً ". (الغزالي: 53/3)

ويتضح من استقراء سيرة الرسول (ﷺ) أنّ حياته كانت مدرسة تربوية سلوكية، فهو المعلم الأول الذي علمه ربه وأدبه وأعده الإعداد الأمثل لحمل هذه الرسالة ووصفه تعالى بقوله " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القلم:4). وعندما سئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله (ﷺ) قالت: كان خلقه القرآن) (الشوكاني: 1964م، 270). وكان (ﷺ) القدوة الحسنة للأمة المسلمة، قال تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " (الأحزاب:21)؛ فعلى الآباء والأمهات أن يتمثلوا هذه القدوة في حياتهم حتى يكونوا قدوة لأبنائهم يغرسون في نفوسهم كل القيم الفاضلة والمبادئ السامية. التي تجعل منهم أفراداً صالحين لأنفسهم ومجتمعاتهم.

وكان (ﷺ) يمازح أصحابه ويخالطهم ويأكل معهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم على حجره، وفي الحديث عن أنس قال: كان النبي (ﷺ) أحسن الناس خُلقاً، وكان لي أخ صغير يقال له أبو عمير – قال أحسبه فطيماً – وكان إذا جاء قال: (يا أبا عمير ما فعل النغير ؟) فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكُنس ويُنضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا. النغير

طائر يشبه العصفور وقيل هي فراخ العصافير (البخاري: 83/8). وفي الحديث فوائد جليلة تدل على رفقه ورحمته وحسن تعامله مع الصغير والكبير (ابن حجر، 1986، 600/10).

والجانب الاجتماعي له أهميته في الإسلام، وذلك من خلال تنشئة الأفراد وإعدادهم عن طريق تنمية الصفات الفردية بحيث يعرف كل فرد في المجتمع المسلم ماله من حقوق وما عليه من واجبات وأن يراعى مصالح الآخرين ومشاعرهم وأن يكون عضواً فاعلاً ومؤثراً في المجتمع (إبراهيم: 2009، 120).

والطفل يتأثر بغيره وبمن هم في مثل عمره؛ فلذلك كانت الرفقه الصالحة من وسائل التربية الخلقية والاجتماعية، يقول ابن سينا: " وينبغي أن يكون الصبي في مكتبه صبيه من أولاد الجلة، حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم فإنّ الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ، وبه آنس " (شمس الدين: 257) . ويحفظ الطفل من قرناء السوء؛ وذلك لتأثيرهم السيئ في سلوك الطفل، يقول الغزالي: " يُمنع من لغو الكلام وفحشه، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك، فإنّ ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء، وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء " (الغزالي، 2004، 98/3). ومن وسائل التربية القدوة و الموعظة، والقصة، والثواب والعقاب وهذه الوسائل لها أثرها في توجيه السلوك وتعديله.

ويقول ابن سينا "فإنّ الصبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق وتنهال عليه المصائب الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه، فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعا؛ فينبغي لِمعلم الصبي أن يجنبه مقابح الأخلاق "ويستعمل في ذلك الوسائل التربوية المناسبة (بالترهيب والترغيب والإيناس الإيحاش وبالإعراض

والإقبال، وبالحمد مرة وبالتوبيخ أخرى ما كان كافياً، فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لا يحجم عنه) (شمس الدين 1988: 250).

ويشير ابن سينا إلى أسلوب العقاب والضرب بعد عدم جدوى كل الوسائل الأخرى، ويجب الاهتمام بالطفل ومراقبة سلوكه حتى يتم تعديله في الوقت المناسب ، يقول الإمام الغزالي " فإنّ الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذاباً حسوداً سروقاً نماماً لحوحاً، ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنّما يحفظ من جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين" (الغزالي ، 2004، 97/7). فيقتدي بهم ويهتدي بهديهم.

ويؤكد الغزالي على أهمية المربي القدوة، وأن يكون " جاعلاً محاسن الأخلاق له سيرة كالصبر والشكر والتوكل واليقين والسخاوة والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار والتأني وأمثالها " (الغزالي: 1123هـ، 23). وأهمية تطبيقها في سلوكه لأهمية دوره وتأثيره الواضح على تكوين الشخصية وتعديل السلوك .

والاستئذان أدب اجتماعي رفيع ينظم العلاقات بين أفراد الأسرة حتى ينشأ الطفل سليماً معافى، محترماً لحرمة حريات الآخرين. قال تعالى " ا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ " (النور: 58) وإذا بلغ الطفل مرحلة البلوغ كان التوجيه القرآني بوجوب استئذانه دائماً وفي كل الأوقات قال تعالى: " وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ

فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (النور: 59).

وفي الحديث (قال جابر رض الله عنه أتيت النبي (ﷺ) في دين كان على أبى فدققت الباب فقال: (من ذا؟) فقلتُ أنا ؟ فقال: (أنا أنا ؟) كأنه كرهها) (البخاري: 100/8) (وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ)، كان إذا سلم سلم ثلاثاً وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً)[2].

ويجب على المربين أن يرشدوا أولادهم إلى أدب الاستئذان، وأن يستأذن الولد ثلاث مرات).وإذا طُلب منه الرجوع عليه أن يذهب دون حرج أو تذمر تقديراً لمشاعر الآخرين وظروفهم. كما أنّ الاهتمام بتنشئة الأبناء على القيم والمبادئ السامية، وعلى بر الوالدين وصلة الرحم، والمحافظة على حق الجار وحسن التعامل مع الصغير والكبير، يزيد من روابط الإلفة والمودة بين أفراد المجتمع، وفي الحديث " ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (البخاري: 17/8)

ولا بد من تكامل المؤسسات المجتمعية كلها بدءاً بالأسرة والمدرسة وانتهاء بأجهزة الإعلام، وأن تكون في خدمة التربية، وعدم التناقض في الأفكار والرؤى فيما بينها لدورها المباشر في تربية النشء، فلابد من تكامل الأدوار، حتى لا يشعر الطفل بالتناقض وعدم المصداقية بين ما يتعلمه في البيت والمدرسة وبين ما يشاهده على أجهزة الإعلام، فواجب التربية يحتم على الجميع التعرف على الايجابيات وترسيخها في نفوس الناشئة، وإيجاد الحلول اللازمة لمعالجة الجوانب السالبة .

التربية العاطفية:

لقد اهتم الإسلام بالناحية النفسية وحاجة الطفل للحب والعطف والحنان (ولذلك كانت العواطف وتكوينها في الإنسان من أهم ما اهتم به المربون، فالحب والكراهية يكونان عناصر العاطفة في الإنسان، ومهمة التربية هي توجيه عاطفة الحب إلى أنواع الفضائل والسلوك المراد وغرسها في النفوس، وتوجيه عاطفة الكراهية أي أنواع الرذائل والسلوك المراد إبعاد النفوس عنها(محجوب: 1987، 300).

وكما يشعر الطفل بحبه لوالديه وأفراد أسرته، فإنّه يشعر كذلك بحبهم له وعواطفهم وحنانهم عليه، واهتمامهم به ورعايتهم له، وهذا الجو المشبع بالحب المتبادل الذي ينشأ فيه الطفل عامل مهم في تكوين شخصيته السوية وشعوره بالأمن النفسي والثقة، والسعادة (نجاتي:2006، 81). ومن هنا تتضح حكمة اهتمام الإسلام بدعوة الناس إلى التآلف والتواد والتحاب والتعاون، فارتباط الإنسان بالآخرين بالمودة والمحبة يقوى انتماءه إلى الجماعة، ويخلصه من الشعور بالقلق الذي تنتج عنه الوحدة والعزلة عن الجماعة (نجاتي:2006، 85). وفي الحديث " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه " (البخاري:17/1). وحب المؤمن لله ورسوله (ﷺ) يغمره بالسعادة والطمأنينة، ويصبح في سلوكه كله متوجهاً إلى الله تعالي في كل عمل يقوم به . قال تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ "(آل عمران:31) وفي الحديث "عن أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي (ﷺ) : متى الساعة يا رسول الله، قال: ما أعددت لها ؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن أحب الله ورسوله قال: أنت مع من أحببت" (البخاري: 72.71/8).

وكان (ﷺ) يمثل القدوة في معاملته الرحيمة والودودة وخصوصاً مع الصغار وفي الحديث، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) أنه كان يأخذه والحسن ويقول : " اللهم إنّي أحبّهما فأحبهما " البخاري:101/5).

والعطـف والرحمـة يكـون للبنـت أيضـاً فقـد ورد عـن قتـادة الأنصـاري أن رسـول الله (ﷺ)، يُصـلى وهـو حامـل أمامـة بنـت زينـب بنـت رسـول الله (ﷺ)،فـإذا سـجد وضـعها وإذا قـام حملهـا (البخـاري: 218/1). وكمـا ورد عـن عائشـة رضـي الله عنهـا قالـت: جـاءتني امـرأة معهـا ابنتـان تسـألني فلـم تجـد عنـدي غيـر تمـرة واحـدة فأعطيتهـا، فقسـمتها بـين ابنتيهـا ثـم قامـت فخرجـت، فـدخل النبي (ﷺ) فحدثتـه فقـال:" مـن يلي مـن هـذه البنـات شـيئاً فأحسـن إلـيهن كـن لـه سـتراً مـن النـار" (ابـن حجـر: 440/10). وكـان (ﷺ) يقـول : " فاطمـة بضـعة منى فمـن أغضـبها أغضـبني" (البخـاري: 105/5). هـذا دليـل على الترغيـب في الإحسـان إلى البنـت أكثـر ليستأصـل عـادة كـره البنـات في الجاهليـة، ولينبـه إلى خطـر التفرقـة بـين الأبنـاء والبنـات في المعاملـة، فواجـب الأم تجـاه طفلهـا، خاصـة في الأدوار الأولـى مـن حياتـه أن ترعـاه، وتغذيـه، وتحنـو عليـه وتقبلـه وتحضـنه؛ لأنّ الشـعور بـالأمن والطمأنينـة أمـر ضـروري حتى ينشـأ الطفـل خاليـاً مـن العقـد والاضـطرابات النفسـية (العـك:1998، 185).

ويرى الإمام الغزالي أنّ أسلوب الترغيب والرحمة واللين من أكثر الأساليب الفعالة في تربية وتوجيه الطفل " ومهما ظهر من الصبي خُلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى بما يفرح به، ويُمدح بين أظهر الناس"(الغزالي: 97/3). وكما كان (ﷺ) يوجه أصحابه إلى الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية كان أيضاً يحذرهم من سوء التعامل مع الآخرين. وفي الحديث "إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخَصِم". أي شديد المخاصمة، كثير الجدل(البخاري:262/3) .

وحسن المعاملة يقوم على الصفح والتجاوز والسماحة وطلاقة الوجه، ويكسب الفرد صلة وثيقة بربه وثقة بنفسه، ورابطة أخوية متصلة مع الآخرين حوله، وعلى الأسرة والمدرسة العمل معاً لتوجيه الأبناء إلى حسن التعامل مع الآخرين، وتكوين علاقات أخوية مترابطة؛ مما يؤدى إلى نشر قيم المودة والرحمة والتآلف بين المسلمين (إبراهيم: 2009، 103).

ومما سبق تتضح أهمية التربية ودورها في إعداد المسلم من جميع الجوانب الروحية والعقلية والجسمية والصحية والخلقية والاجتماعية والعاطفية في كل مراحل حياته، وتكوين الشخصية المتكاملة المتوازنة التي تعمل لخيري الدنيا والآخرة، وفق المنهج الرباني المستمد من مصادر الإسلام الأصلية، والقرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الفكري والتربوي واجتهادات العلماء المسلمين في هذا المجال.

ولا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها فلا بد من العودة إلى الكتاب والسنة، والمنهج الرباني الذي تربت عليه الجماعة الأولى، والقرآن يتنزل ويحفظ في الصدور، ويصبح سلوكاً واقعياً في الحياة حتى يمكن إعداد جيل قادر على حماية هذا الدين، ومواجهة تحديات العولمة بعقول واعية .وذلك من خلال وجود القدوة الحسنة في المنزل والشارع والمدرسة وجماعة الرفاق وكل مؤسسات التربية، فعن طريق القدوة يمكن ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية خاصة في هذه المرحلة العمرية المهمة (مرحلة الطفولة) التي تتسم بالتقليد والمحاكاة بذلك يتم تكوين الشخصية المتكاملة من جميع الجوانب الروحية والعقلية والجسمية والصحية والخلقية والاجتماعية والنفسية وفق المنهج الرباني الذي يتميز بالتكامل والتوازن.

الخاتمة :

بعد الوقوف على أدبيات الدراسة، والاطلاع على المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع الدراسة تم التوصل إلى عدد من النتائج والتوصيات التي قد تسهم في إصلاح الواقع التربوي والتعليمي ومن النتائج:

1- القدوة الحسنة هي التي يمكن عن طريقها ترسيخ القيم والمبادئ الإسلامية خاصة في هذه المرحلة العمرية المهمة (مرحلة الطفولة) .

2-التعاون بين البيت والمدرسة لمتابعة جوانب السلوك السلبية ومعالجتها حين ظهورها.

التوصيات:

1. ضرورة الاقتداء بخير البشرية المعلم الأول الرسول (ﷺ) الذي كانت حياته تمثل المنهج القرآني المتكامل . وجعله المثل الأعلى في التربية .
2. العناية بمرحلة الطفولة ومراحل التعليم الأولى، لأهميتها في غرس القيم والمبادئ الإسلامية والمفاهيم الأساسية التي تتشكل في ضوئها شخصية الفرد.
3. العناية بكتاب الله تعالي وحفظه في الصدور، وتشجيع الأبناء على التمسك بالقرآن حفظاً وتجويداً وسلوكاً للفوز برضا الله في الدنيا والآخرة، وفي الحديث "مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران" يتعاهده: أي يضبطه ويتفقده (البخاري د،ت ،290/6).
4. الاهتمام بتربية الفتاة المسلمة وتنشئتها منذ الصغر على الإيمان والتقوى والاحتشام؛ فهي أم المستقبل وحاضنة الأجيال؛ لذلك اهتم الإسلام بشأنها وإكرامها .
5. على أولياء الأمور الوقوف على سلوك أبنائهم والتعرف على تصرفاتهم عن قرب، وضرورة توجيههم لاختيار الأصدقاء، والرفقة الصالحة وتجنب رفقاء السوء.

6. توثيق الصلة بين المدرسة والأسرة والعمل معاً في تجانس وتكامل لتعزيز السلوك الإيجابي لدى أبنائهم، وملاحظة الجوانب السالبة ومعالجتها حين ظهورها.
7. على أولياء الأمور وضع ضوابط لأبنائهم عند استخدامهم للأجهزة الالكترونية والإنترنت؛ وذلك لتأثيرها على الصحة والسلوك، وشغل أوقات فراغهم بهوايات وأنشطة مفيدة .

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل(2006): تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .
3. ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله (ب.ت): سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت ، لبنان.
4. ابن حجر، الحافظ أحمد بن علي بن حجر (1986): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث ، القاهرة .
5. ابن سويد، محمد نور بن سويد(2006): منهج التربية النبوية للطفل، دار ابن كثير، دمشق بيروت.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم (د.ت):لسان العرب، دار صادر، بيروت.
7. أبو صالح، محي الدين، يالجن مقداد النحلاوي، عبد الرحمن(1979): دراسات في التربية الإسلامية.
8. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (د.ت): صحيح البخاري، المكتبة الثقافية، بيروت.
9. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (1951): سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت .
10. إبراهيم، هاجر الطيب محمد (2009): القيم التربوية في الحديث الشريف، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزيرة، كلية التربية حنتوب، السودان.
11. الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (1411ه): المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
12. العك، خالد عبد الرحمن(1998): بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، دار المعارف، بيروت.
13. الساموك، سعدون محمود (2005): الأساليب التعليمية للتربية الإسلامية، دار وائل للنشر، الأردن، عمان.

14. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(2004): إحياء علوم الدين، دار الآفاق العربية، القاهرة .
15. (1123هـ) أيها الولد، مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات.
16. (2004م): خلق المسلم ،دار القلم ، دمشق.
17. المصباحى، عبد الوهاب بن يحيى (2000): أساليب القصص القرآني في تنمية قيم التوحيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزيرة، كلية التربية حنتوب.
18. القرضاوي، يوسف (1993م): الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، سوريا.
19. الخطيب، عبد الكريم الخطيب(ب.ت): القصص القرآني في العالم المنظور وغير المنظور، مؤسسة الرسالة، بيروت.
20. النووي، يحيى بن شرف (1983م): رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لنبان .
21. الحزيمي، سعود بن عبد الله (2005): الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة.
22. بكار، عبد الكريم (2002): بناء الأجيال، مكتبة الملك فهد، الرياض.
23. جبار، سهام مهدي (1997م): الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، المكتبة العصرية ، بيروت.
24. فائز، أحمد (1983): دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت.
25. شمس الدين ، عبد الأمير شمس الدين (1988م): المذهب التربوي عند ابن سينا، الشركة العالمية للكتاب ،بيروت ، لبنان.
26. محمد خير، فاطمة (1998): منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، دار الخير، بيروت
27. محجوب، عباس (1987): أصول الفكر التربوي في الإسلام مؤسسة علوم القرآن، عجمان.
28. نجاتي، محمد عثمان (2006): الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة.
29. **http://said.net/tarbiah/6.htm**